

تفسير البحر المحيط

@ 154 @ نظير قوله في الأمر : { اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ } { خَيْرًا }
يَأَيُّهُمَا السَّذِينَ ءَامِنُوا ءَامِنُوا } وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب ، وهو في
المعنى للمخاطب . وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب ، لأن التقلب لو غره لاغتر به ، فمنع
السبب ليمتنع المسبب انتهى كلامه . وملخص الوجهين اللذين ذكرهما : أن يكون الخطاب له
والمراد أمّته ، أوله على جهة التأكيد والتنبيه ، وإن كان معصوماً من الوقوع فيه كما
قيل : % (قد يهزّ الحسام وهو حسام % .
ويجب الجواد وهو جواد .
%) .

وقرأ ابن أبي إسحاق ويعقوب : لا يغرنك ولا يصدنك ولا يغرنكم وشبهه بالنون الخفيفة .
وتقلبهم : هو تصرفهم في التجارات قاله : ابن عباس ، والفراء ، وابن قتيبة ، والزجاج .
أو ما يجري عليهم من النعم قاله : عكرمة ، ومقاتل . أو تصرّفهم غير مأخوذين بذنوبهم
قاله : بعض المفسرين . .
{ مَتَاعٌ قَلِيلٌ } أي ذلك القلب والتبسط شيء قليل متعوا به ، ثم مأواهم جهنم وبئس
المهاد . وقلته باعتبار انقضائه وزواله ، وروي : { مَا * الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا * مَثَلٌ * مَا * يَجْعَلُ * أَحَدَكُمْ * مُرْسِلَةً * إِلَيْهِمْ بِهِدْيَةٍ
فَنَاطِرَةٍ بِمَ يَرْجِعُ } أخرجه الترمذي . .
وروي : { مَا } أو باعتبار ما فاتهم من نعيم الآخرة ، أو باعتبار ما أعدّ الله للمؤمنين
من الثواب . .

{ اللَّاهِ وَاللَّاهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغُرُّكَ ذَلِكَ تَقَلُّبُ السَّذِينَ
كَفَرُوا } فِي الدُّنْيَا مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ { ثم المكان
الذي يأوون إليه إنما هو جهنم ، وعبر بالمأوى إشعاراً بانتقالهم عن الأماكن التي تقلبوا
فيها وكان البلاد التي تقلبوا فيها إنما كانت لهم أماكن انتقال من مكان إلى مكان ، لا
قرار لهم ولا خلود . ثم المأوى الذي يأوون إليه ويستقرّون فيه هو جهنم . .
{ وَبِئْسَ الْمِهَادُ } أي وبئس المهاد جهنم . وقال الحطيئة : % أطوف ما أطوى ثم
آوى % .

إلى بيت قعيدته لكاع .
%) .

{ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا } لما تضمن ما تقدم إن ذلك القلب والتصرف في البلاد هو متاع قليل ، وإنهم يأوون بعد إلى جهنم ، فدل على قلّة ما متعوا به ، لأنّ ذلك منقّص بانقضاء حياتهم ، ودلّ على استقرارهم في النار . استدرك ولكن الأخبار عن المتقين بمقابل ما أخبر به عن الكافرين ، وذلك شيئان : أحدهما مكان استقرار وهي الجنات ، والثاني ذكر الخلود فيها وهو الإقامة دائماً والتمتع بنعيمها سرمداً . فقابل جهنم بالجنات ، وقابل قلة متاعهم بالخلود الذي هو الديمومة في النعيم ، فوفقت لكن هنا أحسن موقع ، لأنه آل معنى الجملتين إلى تكذيب الكفار وإلى تنعيم المتقين ، فهي واقعة بين الضدين . وقرأ الجمهور : لكنّ خفيفة النون . وقرأ أبو جعفر : بالتشديد ، ولم يظهر لها عمل ، لأن اسمها مبني . .

{ نُزُلًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ } النزل ما يعد للنازل من الضيافة والقرى . ويجوز تسكين راية ، وبه قرأ : الحسن ، والنخعي ، ومسلمة بن محارب ، والأعمش . وقال الشاعر : % (وكنا إذا الجبار بالجيش خافنا % . جعلنا القنا والمرهفات له نزلا . %)